د . إسماعيل صبرى عبد الله :

الثورة وإمكانية المحال

فى لقائه بالدارسين المصريين بموسكو سنة ١٩٦٨ قال عبد الناصر « **إن الثورة لم تأت من فراغ ، بل استمدت مبادئها من حصيلة أشكال النضال التى شهدتها مصر مابين ٤٥ و ١٩٥٢** » .

وإذا نظرنا إلى تشكيل الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار [مجلس قيادة الثورة فيما بعد] سنجد أعضاء مرتبطين بتيارات سياسية متنوعة [الوفد ــ الإخوان ــ الشيوعيون] وعندما تراجع المبادىء الستة للثورة ستكتشف أنها تلخيص لأهم المطالب الوطنية والديمقراطية التى كانت مطروحة بالفعل وقتها .. مثل « **الديمقراطية السليمة** » .. تعبيرا استخدمته الثورة ويعبر بصدق عن زهد الناس من لعبة القصر مع الأحزاب ، فى وقت خيبت فيه وزارة الوفد كل الآمال ، وهذا التعبير إنعكاس لكافة الأوضاع السلبية قبل تدخل القصر والانجليز وتزييف الانتخابات ... الخ ..

أيضا تعبير « **إنهاء سيطرة رأس المال على الحكم** » .. هذا المطلب مطروح منذ سنة ١٩٤٥ ، وأصبح مطلباً ملحاً بعد وصول الأمر إلى أن أحد الأثرياء [عبود باشا] يدفع مليون جنيه للملك لكى يأتى بحسين سرى باشا رئيساً للوزراء .. بالقطع كان الضباط الأحرار يعكسون نوعاً من الجبهةالوطنية فى ميولهم وأصولهم الاجتماعية وسلوكهم السياسى .

***

التجربة والخطأ :

بعد الإستيلاء على السلطة وتطبيق **منهج التجربة والخطأ** اختلفت الاتجاهات فيما يتعلق بأولويات العمل السياسى ووجدت الثورة نفسها فى صدام مع الليبراليين والشيوعيين .. وبعدهما مع الإخوان .

بالنسبة للشيوعيين فإن أفكار المنظمات الشيوعية كانت مطروحة على نطاق أوسع من نطاق قواها الحقيقية ، ونجحوا سياسيا لكنهم لم ينجحوا تنظيمياً وعجزوا عن تنظيم صفوفهم وتكوين حزب موحد كبير .. بل نجحوا فى نشر برنامجهم السياسى على نطاق واسع .. وكان عبد الناصر يهتم إهتماماً خاصاً بكل مايصدر عن المنظمات الشيوعية ، وكان يطرح شعارات مضادة لشعاراتهم وترد عليها . فى أواخر سنة ١٩٥٤ على سبيل المثال طرحنا أيام « **الراية** » شعار « **الجلاء المزيف** » .. وطرح شعار [**الجلاء الحقيقى**] ... الخ .

وكان عبد الناصر متأثراً بالظروف التاريخية والبيئية .. لذلك كان معادياً للشيوعية ، فاصطدمنا معه ، لكنه كان يرى أن إصلاحاته الإجتماعية ستسحب الأرض من الشيوعيين ... لأن عبد الناصر كان يرى أن الشيوعيين قطب قادر على جذب الجماهير بإقتراح إصلاحات إجتماعية ، وبالتالى فهم منافسون خطرون على السلطة ، فقاوم ذلك بتبنى مشروعات الإصلاح الماركسية ونفذها .. فى حين لم نكن نحن الشيوعيين نملك وقتها سوى الكلام عنها ..

رد الثقة للجماهير

أهم ماتبقى من تجربة ثورة يوليو أنها ردت للجماهير المصرية ثقتها بنفسها ، وبقدرتها على الصمود أمام الإمبريالية والاستعمار ، ليس بأفكارها فقط ، بل بأعمالها العملية وأعطت أدلة ساطعة على ذلك .

أما مضمون الثورة فهو [**إمكان المحال**] .. الوضع قبلها كان وضعاً ثوريا ناضجاً ، لكن لم توجد قيادة حقيقية فى الأوساط السياسية الحزبية والمدنية .. وجاءت القيادة من الجيش .. **وحدثت الثورة ، إذ تغير المضمون الطبقى للسلطة ، وكانت تكاليفها الإجتماعية قليلة للغاية ، فلم تسل الدماء .. ومجموع الذين أعدموا أو قتلوا لأسباب سياسية قليلون جداً . والذين يحاولون تشويه وجه الثورة عن طريق التركيز على الجانب القمعى مخطئون .. صحيح أن القمع كان موجوداً .. لكن تصوير الثورة على أنها مجرد قمع تشويه للتاريخ .**

لذلك فنحن كشيوعيين رغم أننا عذبنا ، وأفنينا أعمارنا فى السجون ، فإننا ننظر للثورة كنتائج نهائية إيجابية وتاريخية أو كمرحلة من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية ..

أما ماتبقى من ثورة يوليو رغم الردة الساداتية فهو كثير .. قناة السويس أممت فى عهد الثورة وستظل مؤممة .. السد العالى قائم .. اهتمامنا بالجيش الوطنى قائم .. صراعنا من أجل الديمقراطية رغم إخفاق الثورة قائم .. تعليم الملايين من أولاد الفقراء رغم محاولات تفريغ المجانية من مضمونها قائم .. نحن لا زلنا نعيش على ثمار ثورة ٢٣ يوليو .. وستظل هى المصدر الرئيسى للشرعية فى بلادنا ، **ولا زالت الجماهير الفقيرة متعلقة باسم عبد الناصر ، وسيظل فى ضمائر ٨٥ ٪ على الأقل من الشعب .. عبد الناصر دخل وجدان الشعب المصرى ولم يخرج منه للآن .**